

سورة الشورى

هى مكية إلا الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ فمدنية .

وعدة آياتها ثلاث وخمسون ، نزلت بعد فصلت .

ومناسبتها لما قبلها — اشتغال كل منهما على ذكر القرآن ، ودفع مطاعن الكفار

فيه ، وتسليمه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ (١) عَسَقَ (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ
 الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ
 بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ
 عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦)

شرح المفردات

حَمْدٌ عَسَقَ — تقدم أن قلنا إن الحروف المقطعة التي جاءت في أوائل السور
 حروف تنبيه نحو أيا ونحوها ، يؤتى بها لإيقاظ السامع وتنبيهه إلى ما سيلقى إليه
 من الأمور العظام المشتملة عليها هذه السورة ، وينطق بأحماؤها هكذا (حاميم . عين .
 سين . قاف .) يتفطرن : أى يتشققن ، يسبحون : أى ينزهون الله عما لا يليق به ،
 والأولياء : الشركاء والأنداد ، حفيظ : أى رقيب على أحوالهم وأعمالهم ، بوكيل :

أى بموكول إليك أمورهم حتى تؤاخذهم بها ولا وكل إليك هدايتهم ، وإنما عليك البلاغ فحسب .

المعنى الجملى

بين سبحانه أن ما جاء فى هذه السورة موافق لما فى تضاعيف الكتب المنزلة على سائر الرسل من الدعوة إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر والتزهيد فى جمع حطام الدنيا والترغيب فيما عند الله ، ثم ذكر أن ما فى السموات والأرض فهو ملكه وتحت قبضته وله التصرف فيه إيجادا وإعداماً وتكويناً وإبطالاً ، وأن السموات والأرض على عظمهما تكاد تتشقق فرقا من هيئته وجلاله سبحانه ، وأن الملائكة ينزهونه عما لا يليق به من صفات النقص ، ويطلبون المغفرة لعباده المؤمنين ، ثم أزدف هذا بتسليية الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ليس بالرقيب على عبدة الأصنام والأوثان يستطيع أن يردم إلى سواء السبيل ، بل ليس عليه إلا البلاغ وعلينا حسابهم ، فلا يبضع نفسه عليهم حسرات ، إن الله عليم بما يصنعون .

الإيضاح

(كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى بمثل ما فى هذه السورة من الدعوة إلى التوحيد والنبوة والإيمان باليوم الآخر وتجميل النفس بفاضل الأخلاق وإبعادها عن رذائل الخلال والعمل على سعادة المرء والمجتمع يوحى إليك الله العزيز فى ملكه ، الغالب بقمه ، الحكيم بصنعه ، المصيب فى قوله وفعله ، كما أوحى إلى الأنبياء بمثله من قبلك .

وسياقى تفصيل هذا فى سورة « سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » فقد ذكر فى أولها التوحيد ، وفى وسطها النبوة وفى آخرها المعاد . ثم قال : « إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » أى إن المقصود من إنزال جميع الكتب الإلهية

ليس إلا هذه المطالب الثلاثة العالية التي لا تتم السعادة إلا بها ، ولا الفوز بالنعيم في الدارين إلا بسلوها .

ثم بين عظمته وكبريائه وحكمته فقال :

(له ما في السموات وما في الأرض وهو العلى العظيم) أى إن ما في السموات والأرض تحت قبضته وفي ملكه وله التصرف فيه إيجادا وإعداما ، وهو المتعالى فوقه ، العظيم عن مماثلته ، ليس كمثل شئ ، وهو السميع البصير .

(تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) أى تكاد السموات يتشققن من هيبة من هو فوقهن بالألوهية والقهر ، والعظمة والقدرة .

وبعد أن بين كمال عظمته باستيلاء هيئته على الجسائيات ، انتقل إلى ذكر الروحانيات فقال :

(والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى والملائكة ينزهون الله عن صفات النقص ويسمونهم بسماوات الجلال والكمال ، شاكرين له على ما أنعم به عليهم من طاعته ، وسخرهم لعبادته .

ونحو الآية قوله : « لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » .

(ويستغفرون لمن في الأرض) أى ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به ، ويلهمونهم سبل الخير الموصلة إلى السعادة ، فمثلهم مثل الضوء يعطى الحياة بحرارته ، ويعطى الهدى بنوره .

ونحو الآية قوله : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ » .

ثم بين سبحانه أن من شأنه المغفرة والرحمة لعباده فقال :
 (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) فما من مخلوق إلا له حظ من رحمته ، وهو
 سبحانه ذو مغفرة للناس على ظلمهم .
 وفي الآية إيماء إلى قبول استغفار الملائكة ، وهو يزيد على ما طلبوه من المغفرة ،
 الرحمة بهم ، وتأخير عقوبة الكافرين والمعصاة نوع من المغفرة والرحمة لعلهم يرجعون
 عن غوايتهم ، ويشوبون إلى رشدهم ، وينيبون إلى ربهم .
 ثم أبان وظيفة الرسل فقال :

(والذين اتخذوا من دونه أولياء الله خفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) أى
 والمشركون الذين اتخذوا آلهة من الأصنام والأوثان يعبدونها — الله هو المراقب
 لأعمالهم ، المحصى لأفعالهم وأقوالهم ، المجازى لهم يوم القيامة على ما كانوا يفعلون ،
 ولست أنت أيها الرسول بالخفيظ عليهم ، إنما أنت نذير تبليغهم ما أرسلت به إليهم ،
 إن عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فإنك لست
 بمدرِك ما تريد من هدايتهم إلا إذا شاء ربك .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا
 وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْيَبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ
 وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) .

شرح المفردات

الإنذار : التخويف ، وأم القرى : مكة ، ويوم الجمع يوم القيامة ؛ سمي بذلك
 لاجتماع الخلائق فيه كما قال تعالى : « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجُمُعِ » والفريق :
 الجماعة ، والسعير : النار المستعرة الموقدة .

المعنى الجملى

بعد أن أبان فيما سلف أنه هو الرقيب على عباده المحصى لأعمالهم وأنه عليه السلام نذير تحسب ، وليس عليه إلا البلاغ — ذكر هنا أنه أنزل كتابه بلغة العرب ليفهمه قومه من أهل مكة وما حولها كما قال: « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » وينذرهم بأن يوم القيامة آت لا شك فيه وأن الناس إذ ذاك فريقان : فريق يدخل الجنة بما قدم من صالح الأعمال ، وفريق يدخل النار بما دسى به نفسه من سيئ الفعال ، ثم ذكر أن حكمته اقتضت أن يكون الإيمان بالتكليف اختيارا ولم يشأ أن يكون قسرا وجبرا ، ولو شاء أن يكون كذلك لفعل ، فمن أخبت لله وأتاب وعمل صالحا أفلح وفاز بالسعادة ، ومن عاث في الأرض فسادا ، واتجهت همته إلى ارتكاب الشرور والآثام خسر وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المهاد ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا .

الإيضاح

(وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أمّ القرى ومن حولها) أى ومثل ذلك الإيحاء البديع الواضح ، أوحينا إليك قرآنا عربيا بلسان قومك ، لاختفاء فيه عليك ولا عليهم ، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره ولتنذر به أهل مكة وما حولها من البلاد ، كما أرسلنا كل رسول بلسان قومه .

وقصارى ذلك — إنا كما أوحينا إليك أنك لست بالحفيظ عليهم ولا بالوكيل ، أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أهل مكة وما حولها .

وخص هؤلاء بالذكر ، لأنهم أول من أُنذروا ، ولأنهم أقرب الناس إليه ، فلا دليل فيها على أنه أرسل إليهم خاصة ، كيف وقد جاء في آية أخرى « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ » .

وهذا الإنذار يعم شئون الدنيا وشئون الآخرة ، ثم خص من بينها أمور الآخرة
بيانا لعظيم أهوالها وشديد نكالها فقال :

(وتندريوم الجمع لاريب فيه) أى وتندري الخلائق كافة عقاب الله يوم جمعهم
للعرض والحساب ، وهو يوم لا شك فيه ، لتظاهر الأدلة على تحققه عقلا ونقلا ،
فالحكمة قاضية بجزاء المحسن على إحسانه ، ومعاقبة المسيء على إساءته ، ولما فيه
من نصوص قاطعة على وجوده لا تحتمل تأويلا ولا تفسيرا .

ثم ذكر عاقبة العرض والحساب فقال :

(فريق في الجنة وفريق في السعير) أى إنهم بعد جمعهم وعرضهم للحساب
يفرقون ، وفريق منهم يدخل الجنة لإيمانه بالله ورسوله وبما أحسن من عمل في دنياه
استحق به الكرامة عند ربه ، والنعيم المقيم في جنته ، وفريق منهم في نار الله الموقدة
المسعورة على أهلها ، وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله ، فسدوا أنفسهم
بما أساءوا إليها من شرور وآثام ، وبما عبدوه من أوثان وأصنام .

ونحو الآية قوله : « **إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ، ذَلِكَ يَوْمٌ
مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ . يَوْمَ
يَأْتِي لَاتَكَلِّمُنَّ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ .** »

ثم سلى رسوله عما كان يفاله من الغم والهلم بتولى قومه عنه وعدم استجابة
دعوته ، وأعلمه أن أمور عباده بيده ، وأنه الهادى إلى الحق من يشاء ، والمضل من
أراد فقال :

(ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون
ما لهم من ولى ولا نصير) أى ولو شاء الله لجمع الجميع مؤمنين كما تريد وتحرص عليه ،
ولكن حكمته اقتضت أن يكون بعضهم مؤمنين كما تحب ، وبعضهم كفارا
وهم الذين اتخذوا من دون الله أولياء ؛ لأنه سبحانه شاء أن يكون الإيمان مبنيا على

التكليف والاختيار ، يدخل فيه المرء بمحض الرضا والتأمل فى الأدلة الموصلة إلى الهدى ، وبذلك يتم الفوز والسعادة فى الدارين ، وينفر منه من دنس نفسه بإدران الشرك وركب رأسه وأطاع هواه فكان من الخاسرين .

ولو شاء لجعل الإيمان بالقسر والإلجاء فكان الناس جميعاً أمة واحدة ، ولكن له الحجة البالغة والمثل الأعلى لم يشأ ذلك ، فلا تأس على عدم إيمان قومك ، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات كما قال : « فَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا » وقد جاء هذا المعنى فى غير آية سلف كثير منها كقوله : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى » وقوله : « وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا » .

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ مُخَفًى عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) .

شرح المفردات

الولى : الناصر والمعين ، أنيب : أى أرجع ، فاطر السموات والأرض : أى مبدعهما لا على مثال سابق ، من أنفسكم : أى من جنسكم ، يذروكم : أى يكثركم

يقال ذرأ الله الخلق : بثهم وكثرهم ، مقاليد : واحدها مقلاد أو مقليد أو إقليد ، وهو المفتاح ، يبسط : أى يوسع ، يقدر : أى يقترو ويضيق .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر أنهم اتخذوا من دون الله أولياء وأن الله وكيل عليهم ولست أيها الرسول بالخفيظ عليهم — طلب إليه هنا أن يدع الاهتمام بأمرهم ويقطع الطمع في إيمانهم ، مبيناً أنهم اتخذوا من دون الله أولياء ، وهو سبحانه الولي حقا القادر على كل شيء ، فقد عدلوا عنه إلى ما لا نسبة بينه وبينهم بحال .

الإيضاح

(أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير) أى إن هؤلاء المشركين من قومك اتخذوا أولياء ينصرونهم من دون الله وقد ضلوا ضللا بعيدا ، فهؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، فإن أرادوا ولياً بحق يدفع عنهم الملمات ، ويحلب لهم الخيرات ، فالله هو القادر على ذلك ، وهو الحي الموتى ويحشرهم يوم القيامة ، تخدير بمثابة أن يتخذ ولياً ، لامن لا يستطيع دفع الضر عن نفسه ولا جلب الخير لها .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَنْفَذُوهُ مِنْهُ » .

وبعد أن منع رسوله أن يحمل الكفار على الإيمان قسرا — منع المؤمنين أن يتنازعوا معهم في شأن من شؤون الدين فقال :

(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أى وما اختلف فيه العباد من أمر الدين فحكمه ورجعه إلى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل بين الختصمين ، وحينئذ يظهر الحق من المبطل ويتميز أهل الجنة وأهل النار .

وقد يكون المعنى — إن حكمه مردود إلى كتاب الله ، فقد اشتمل على الحكم بين عبادته فيما فيه يختلفون ، فالآية عامة فى كل اختلاف يتعلق بأمر الدين وأنه مردود إلى كتاب الله .

ونحو الآية قوله : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » .

وقد حكم سبحانه بأن الدين هو الإسلام وأن القرآن حق وأن المؤمنين فى الجنة والكافرين فى النار ، ولكن لما كان الكفار لا يدعون بأن ذلك حق إلا فى الدار الآخرة وعدم بذلك يوم القيامة .

ثم أمره أن يقول لهم :

(ذلسم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب) أى ذلسم الموصوف بهذه الصفات من الإحياء والإماتة والحكم بين المختلفين هو ربي وحده ، لا آلهتكم التى تدعون من دونه ، عليه توكلت فى دفع كيد الأعداء وفى جميع شئونى ، وإليه أرجع فى كل المهمات ، وإليه أتوب من الذنوب .

وفى هذا تعريض لهم بأن ما هم عليه من اتخاذ غير الله ولياً لا يجديهم نفعاً ، ولا يدفع عنهم ضراً ، فالأجدر بهم أن يقلعوا عنه ، إذ من شأن العاقل ألا يفعل إلا ما يفيد فى دين أو دنيا .

ثم بين الأسباب التى حملته على أن يلتجئ إليه وجملته الحقيق بذلك فقال :

(فاطر السموات والأرض) أى إنه الجدير بأن يعتمد عليه ويستعان به ، لأنه خالق العوالم جميعاً علويها وسفليها على عظمتها التى ترونها ، لا آلهتكم التى لا تستطيع أن تخلق شيئاً .

ثم بين بعض ما خلقه وأنعم به فقال :

(جعل لسمك من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه) أى ومن حكيمته لبقاء العمران فى هذه الحياة إلى الأجل الذى حدده فى علمه — أن خلق لكم

من جنسكم زوجات لتتوالدوا ويكثر النسل ويستمر بقاء هذا النوع ، وجعل للأنعام مثل هذا ، وبذا تنتظم شئون الحياة لهذا الخليفة الذى جعله الله فى الأرض ، وتقضى مآربه الدنيوية من مأكول ومشروب ، واستمر تغذيته على أتم النظم وأكمل الوجوه ، فيشكر ربه على ما أولى ، ويعبده على ما أنعم ، فيفوز بالسعادة فى الحياة الآخرة كما فاز بها فى الدنيا .

وقوله «فيه» أى فى هذا التدبير وهو التزويج ، فهو سبحانه جعل الناس والأنعام أزواجا ليكون بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، فيكون هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهذا الكثير فى النسل .

وبعد أن ذكر بعض صنعه الدال على عظمته أرشد إلى بعض صفاته العظيمة فقال :

(١) (ليس كمثلته شيء) أى ليس كخالق الأزواج شيء يزاوجه لأنه الفرد الصمد ، وقد يكون المعنى ليس مثله شيء فى شئونه التى يدبرها بمقتضى قدرته الشاملة وعلمه الواسع ، وحكمته الكاملة ، ومن ثم جعل هذا التدبير المحكم لإحاطة علمه بكل شئ .

(٢) (وهو السميع البصير) أى وهو السميع لما ينطق به خلقه من قول ، البصير بأعمالهم لا يخفى عليه شيء مما كسبت أيديهم من خير أو شر .

(٣) (له مقاليد السموات والأرض) أى له تعالى مفاتيح خزائن السموات والأرض ، فييده مقاليد الخير والشر ، فما يفتح من رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك منها فلا يرسل له من بعده ، وقد بين هذا بقوله :

(يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه ويقتصر على من يريد ، على حسب السنن والنواميس التى وضعها بين عباده فى هذه الحياة .

ثم ذكر سبب هذا البسط والتفتير فقال :
 (إنه بكل شيء عليم) أى إنه تعالى عليم بكل ما يفعله من توسعة على من يوسع
 وتفتير على من يقتر ، ومن الذى يصلحه البسط فى الرزق ، ومن الذى يفسده ، ومن
 الذى يصلحه التفتير ومن الذى يفسده ، لا يخفى عليه شيء من ذلك ، فيفعل كل ذلك
 على مقتضى حكمته الكاملة ، وقدرته الواسعة ، وعلمه المحيط .

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ،
 كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
 إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ
 وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ
 الَّذِينَ أُوْرُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْشُرَنَّ مِنْهُمْ رُيُوبًا (١٤) .

شرح المفردات

أقيموا الدين : أى حافظوا عليه ولا تخلوا بشيء من مقوماته ؛ والمراد بالدين
 دين الإسلام وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله واليوم الآخر وسائر ما يكون به
 العبد مؤمنا ، ولا تفرقوا فيه : أى لا تختلفوا فيه فتاتوا ببعض وتركوا بعضا ، كبر :
 أى عظم وشق عليهم ، يجتبي : أى يصطفى ، ينيب : أى يرجع ، والبغى : الظلم
 ومجاوزة الحد فى كل شيء ، تقضى بينهم : أى باستئصال الباطلين حين تفرقوا .

المعنى الجملى

بعد أن عظم وحيه إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وأبان ماله من كبير الحظ
 حين نسبه إليه تعالى وأنه صادر من عزيز حكيم لا يوحى إلا بما فيه مصلحة البشر

ومنفعتهم في دينهم ودينامهم — ذكر هنا تفصيل هذا الوحي وأرشد إلى أنه هو الدين الذي وصى به أكارب الأنبياء وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة؛ وأردف ذلك بأن المشركين يشقّ عليهم دعوتهم إلى التوحيد وترك الأنداد والأوثان، وأن الله يهدى من يشاء من عباده لهدى دينه، وأنهم ما خالفوا الحق إلا بعد إبلاغه إليهم وقيام الحجّة عليهم، وأنه ما حملهم على ذلك إلا البغى والعدوان والحسد، وأنه لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار المشركين بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لعجل لهم العقوبة في الدنيا، وأن من اعتنقوا الأديان من بعد الأجيال الأولى ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم، وإتمامهم مقلدون لأبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان، وهم في حيرة من أمرهم، وشك مريب، وشقاق بعيد.

الإيضاح

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) أى شرع لكم من الدين ما شرع لنوح ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل وأمرهم به أمرا مؤكدا؛ وتخصيص هؤلاء الأنبياء بالذكر لعلو شأنهم وعظيم شهرتهم، ولاستئالة قلوب الكفار إلى اتباعه، لاتفاق كلمة أكثرهم على نبوتهم، واختصاص اليهود بموسى عليه السلام والنصارى بعيسى عليه السلام — وإلا فكل نبي مأمور بما أمروا به من إقامة دين الإسلام وهو التوحيد، وما لا يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كالإيمان بالله واليوم الآخر وملائكته واكتساب مكارم الأخلاق وفاضل الصفات .

وفي الآية إيماء إلى أن ما شرعه لهم فهو صادر عن كامل العلم والحكمة، وأنه دين قديم أجمع عليه الرسل، وما أوحاه إليه هو إما ما ذكر في صدر السورة، وفي قوله: (وكذلك أوحينا) الآية .

وإما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواضع التى من جملتها قوله تعالى : « ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا » وقوله : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ » .

ثم فصل ما شرعه بقوله :

أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (أى اجملوا هذا الدين وهو دين التوحيد والإخلاص لله فأما دائما مستمرا ، واحفظوه من أن يقع فيه زيغ أو اضطراب ، ولا تتفرقوا فيه بأن تأتوا ببعض وتتركوا بعضا ، أو بأن يأتى بعض منكم بهذه الأصول التى شرعت لكم ويتركها بعض آخر .

والنهى إنما هو عن التفرق فى أصول الشرائع ، أما التفاصيل فلم يتخذ فيها الأنبياء كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا » .

والخلاصة — إننا شرعنا لكم ما شرعنا للأنبياء قبلكم ، دينا واحدا فى الأصول وهى التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج ، والتقرب بصالح الأعمال والصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلوة الرحم ، وحرمانا عليكم الزنا وإيذاء الخلق والاعتداء على الحيوان — فكل هذا قد اتحد فيه الرسل وإن اختلفوا فى تفاصيله .

(كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أى شق على المشركين دعوتهم إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام والأوثان وتقريرهم على ذلك لأنهم توارثوا ذلك كما برا عن كابر ونقلوه عن الآباء والأجداد كما حكى سبحانه عنهم بقوله : « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ » .

وبعد أن أرشد المؤمنين إلى التمسك بالدين — ذكر أنه إنما هدهم إلى ذلك لأنه اصطناهم من بين خلقه فقال :

(الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب) أى الله يصطفى من يشاء من عباده ويقر بهم إليه تقرب الكرامة ، ويوفى للعمل بطاعته واتباع ما بعث به

نبيه عليه من الحق — من راجع التوبة من معاصيه ، وهذا كما روى في الخبر « من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » أى من أقبل إلى بطاعته أقبلت إليه بهديتي وإرشادى بأن أشرح له صدره ، وأسهل له أمره . ثم أجب عن سؤال قد يخطر بالبال ، لماذا صار الناس متفرقين في الدين مع أنهم أمروا بالأخذ به وعدم التفرق فيه فقال :

(وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أى وما تفرقت الأمم إلا من بعد ما علموا أن الفرقة ضلالة ، وقد فعلوا ذلك بغيا وطلباً للرياسة وللحمية حمية الجاهلية التي جمعت كل طائفة تذهب مذهبا وتدعو إليه وتفتح ما سواه طلبا للأحدثوة بين الناس والسيطرة عليهم .

واختلاصة — إن الأمم قديمها وحديثها أمروا باتفاق الكلمة وإقامة الدين وبلغهم أنبياءهم ذلك ، وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بذلك بغيا وحسدا ، وعتادا وخبا للرياسة ، فدعت كل طائفة إلى مذهب وأنكرت ما عداه .

ثم ذكر أن هؤلاء كانوا يستحقون العذاب المبجل على سوء أفعالهم ، ولكن حكمته تعالى امتنعت تأخيره ليوم معلوم فقال :

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) أى ولولا الكلمة السابقة من ربك بإنظار حسابهم وتأخيره إلى يوم المعاد لمبجل لهم العقوبة في الدنيا سريعا بما دسوا به أنفسهم من كبير الآثام وقبيح المعاصي .

ثم ذكر أن تفرقهم في الدين باق في أعقابهم مضافا إليه الشك في كتابهم مع انتسابهم إليه فقال :

(وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) أى وإن أهل الكتاب الذين كانوا في عهده صلى الله عليه وسلم وورثوا التوراة والإنجيل عن السابقين — لهم في شك من كتابهم إذ لم يؤمنوا به حق الإيمان ، فهم مقلدون

أسلافهم بلا حجة ولا برهان ، وهم فى حيرة من أمرهم ، وشك أقض مضاجعهم ، وأوقفهم فى اضطراب وقلق .

وقصارى ذلك — إنهم تفرقوا بعد العلم الذى حصل من النبى المبعوث إليهم المصدق لكتابتهم لكنهم شكوا فى كتابكم فلم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه من أمر ونهى .

فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ،
لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، لَأَحْجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَالْيَوْمِ الْمَصِيرُ (١٥) .

شرح المفردات

ادع : أى إلى الائتلاف والاتفاق ، واستقم : أى اثبت على الدعاء كما أوحى إليك ، آمنت بما أنزل الله من كتاب : أى صدقت بجميع الكتب المنزلة ، لاجحة : أى لا احتجاج ولا خصومة .

المعنى الجملى

بعد أن أمرهم فيما سلف بالوحدة فى الدين وعدم التفرق فيه ، وذكر أنهم قد تفرقوا فيه من بعد ما جاءهم العلم بغيا وحسدا وعنادا واستكبارا — أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الاتفاق على الملة الحنيفية والثبات عليها والدعوة إليها كما أمره الله وألا يتبع أهواءهم الباطلة ، ثم أمره بالإيمان بجميع الكتب السماوية وبالعدل بين الناس فىسوى بينهم وبين نفسه ، فلا يأمرهم بما لايعمله أو يخالفهم

فما نهاهم عنه ؛ ثم أردف ذلك ببيان أن إلههم جميعا واحد ، وأن كل امرئ مسئول عن عمله ، وأن الله يجمع الناس يوم القيامة ويحازيهم بأعمالهم .
وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على عشرة أوامر ونواه ، كل منها مستقل بذاته ودالّ على حكم برأسه ، ولا نظير لها في ذلك سوى آية الكرسي فهي عشرة فصول أيضا .

الإيضاح

(فلذلك فادع) أى فلأجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر في الأمم السالفة شعبًا — ادع إلى الاتفاق والاتلاف على الملّة الخنيفية ملّة إبراهيم .
(واستمم كما أمرت) أى واثبت أنت ومن اتبعك على عبادة الله كما أمرم .
(ولا تتبع أهواءهم) أى ولا تتبع أيها الرسول أهواء الذين شكوا في الحق الذى شرعه الله لكم ، من الذين أوردوا الكتاب من قبلكم فنشكوا فيه كما شكوا .

(وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أى وقل صدقت بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم ، لا أكذب بشيء منها .

وفي هذا ترميض بأهل الكتاب ، إذ صدقوا ببعض وكفروا ببعض ، وتأليف لقلوبهم إذ آمن بما آمنوا به .

(وأمرت لأعدل بينكم) أى وأمرني الله بما أمرني به لأعدل بينكم في أحكام الله إذا ترافتم إلى ولا أحييف عليكم بزيادة على ما شرعه أو نقصان منه ، ولأبلغ ما أمرني بتبليغه إليكم كما هو .

(الله ربنا وربكم) أى الله هو المعبود بحق لا إله غيره ، فنحن نقرّ بذلك اختيارا ، وأنتم وإن لم تفعلوه فله يسجد من في السموات والأرض طوعا وجبرا .

(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى لنا أعمالنا لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان أو عقابا،
ولكم أعمالكم لا ننتفع بحسناتكم ولا تضرنا سيئاتكم .

ونحو الآية قوله : « وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ » .

(لاحجة بيننا وبينكم) أى لاختصومة بيننا ولا احتجاج ، فإن الحق قد وضح
وليس للمحاجة مجال ، فما الخالف إلا معاند أو مكابر وسيأتى الوقت الذى يستبين فيه
الحق ويتضح سبيل الرشاد وإلى ذلك أشار بقوله :

(الله يجمع بيننا) أى الله يجمع بيننا يوم القيامة ، فيقضى بيننا بالحق فيما
اختلفنا فيه .

ونحو الآية قوله : « قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ
الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ » .

(وإليه المصير) أى وإليه المرجع والمعاد بعد ممانتنا يوم الحساب ، فيجازى كل
نفس بما كسبت « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
شَرًّا يَرَهُ » .

وهذه الأوامر والنواهي وإن وجهت فى الظاهر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم
فهى له ولأئمة كاهى القاعدة : أمرُ النبي صلى الله عليه وسلم أمر لأئمة إلا إذا ورد
دليل على التخصيص .

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ، وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ
أَنَّهَا الْحَقُّ ، أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) .

شرح المفردات

يُحَاجُونَ فِي اللَّهِ : أى يُحَاصِمُونَ فِي دِينِهِ ، اسْتَجَابَ لَهُ : أى اسْتَجَابَ النَّاسُ
لِدِينِهِ وَدَخَلُوا فِيهِ لَوْضُوحِ حُجَّتِهِ ، دَاحِضَةٌ : أى زَائِفَةٌ بَاطِلَةٌ ، وَالمِيزَانُ العَدْلُ بَيْنَ
النَّاسِ ، يَدْرِيكَ : يَعْلَمُكَ ، السَّاعَةُ : القِيَامَةُ ، مُشْفِقُونَ : خَائِفُونَ مِنْهَا حَذَرُونَ مِنْ
مُجِيئِهَا ، الحَقُّ : أى الأَمْرُ المُحَقَّقُ السَّكَّنُ لِاحْتِمَالِهَا ، يَمَارُونَ : أى يُجَادِلُونَ ؛ وَأَصْلُهُ مِنْ
مَرَّيْتُ النَّاقَةَ : أى مَسَحْتُ ضَرْعَهَا لِلحَلَبِ إِذْ كَلَّ مِنْ التَّجَادُلَيْنِ يَسْتَخْرِجُ
مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر فيما سلف أن لا محاجة بين المشركين والمؤمنين لوضوح الحججة ،
بين هنا أن الذين يخاصمون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له ودخلوا فيه
أفواجا ، حججهم في الصرف عنه زائفة لا ينبغي النظر إليها وعليهم غضب من ربهم
لمكابرتهم للحق بعد ظهوره ، ولهم عذاب شديد يوم القيامة .

روى أن اليهود قالوا للمؤمنين : إنكم تقولون إن الأخذ بالمتفق عليه أولى من
الأخذ بالمتخلف فيه ، ونبوة موسى وتوراته مسلمة بيننا وبينكم ، ونبوة محمد ليست
كذلك ، وإذا فالأخذ باليهودية أولى ، فدحض سبحانه هذه الحججة بأن الإيمان
بموسى إنما وجب لظهور المعجزات على يديه دالة على صدقه ، وقد ظهرت المعجزات
على يدى محمد واليهود قد شاهدوها فوجب الاعتراف بنبوته .

ثم أردف ذلك بتخوينهم بيوم القيامة حتى يستعدوا له ويتركوا الماراة بالباطل ،
ثم ذكر أن المشركين يستعجلون به استهزاء وإنكارا لوجوده ، والمؤمنون خائفون

منه لعلهم بالجزاء حينئذ ، ثم أعقب ذلك بذكر أن الماراة فى الساعة ضلال بين لتظاهر الأدلة على حصولها لاحالة .

الإيضاح

(والذين يحتاجون فى الله من بعد ما استجيب له حاجتهم داحضة عند ربهم . وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) أى والذين يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ورسوله ليصدومهم عما سلكوه من طريق الهدى — حاجتهم زائفة لاتقبل عند ربهم ، وعليهم غضب منه ، لأنهم ماروا فى الحق بعد ماتين ، ولهم عذاب شديد يوم القيامة ، لتركهم الحق بعد أن وضحت محجته عنادا واستكبارا .

وقد سمي أباطيلهم التى لاينبغى التعويل عليها — أدلة مجارة لهم على زعمهم حتى يعاودوا النظر فيها لعلهم يروعون عن غيهم ويشوبون إلى رشدهم .

(الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان) أى الله أنزل كتبه على أنبيائه حاوية للحق الذى لاشبهة فيه ، بعيدة من الباطل الذى لاخير فيه ، وأنزل العدل ليقضى بين الناس بالإنصاف ، ويحكم بينهم بحكمه الذى أمر به فى كتابه .

ونحو الآية قوله : « لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ » .

ثم رغب سبحانه فى الآخرة وزهد فى الدنيا فقال :

(وما يدريك لعل الساعة قريب ؟) أى أى شيء يعلمك لعل الساعة التى تقوم فيها القيامة تكون قد أذفت ؟ فعليك أن تتبع الكتاب وتواظب على العدل بين الناس ، واعمل بما أمرت به قبل أن يفجأك اليوم الذى توزن فيه الأعمال ويوفى كل عامل جزاء عمله .

والمراد بذلك حث المؤمنين على اتباع نهج الشرع وترك مخالفته .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا متى الساعة؟ استهزاء منهم بها، وتكديبا لحجبتها، فأنزل الله الآية، ويدل على ذلك قوله:

(يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال استهزاء وإنكار، وكانوا يقولون متى هي؟ ليتها قامت حتى يظهر لنا، نحن على الحق فنفوز بالنجاة، أم محمد وأصحابه فنكون من الخاسرين؟

وبعد أن بين حال المشركين في شأنها ذكر حال المؤمنين في أمرها فقال:

(والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) أى والذين آمنوا خائفون منها وجلون من مجيئها، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم، وهم موقنون أنهم محاسبون ومجزيون على أعمالهم إن خيرا نخير وإن شرا فشر، كما أنهم يعلمون علم اليقين أن مجيئها حق لا ريب فيه، فهم يستعدون له ويعملون من أجله.

ونحو الآية قوله: « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ »

روى «أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى وهو فى بعض أسفاره فقال يا محمد: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من صوته (هاؤم) فقال له متى الساعة؟ فقال له: إنها كائنة فما أعددت لها؟ فقال حب الله ورسوله، فقال صلى الله عليه وسلم: أنت مع من أحببت».

ثم بين ضلال الممارين فيها فقال:

(ألا إن الذين يمارون فى الساعة لى ضلال بعيد) أى ألا إن الذين يجادلون فى وجودها، ويدفعون وقوعها، لى جور عن طريق الهدى، وزيف عن سبيل الرشاد وبعد من الصواب، لأن الذى خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموقى كما قال: « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ».

اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الرَّزِيزُ (١٩) مَنْ
 كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
 الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
 شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ، وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ
 بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ
 مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ
 الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) .

الإيضاح

لطيف بعباده : أى هو برّ بهم يفيض عليهم من جوده وإحسانه ، حرث
 الآخرة : ثمرات أعمالها تشبها لها بالغلة الحاصلة من البذور، حرث الدنيا: لذاتها وطيباتها ،
 شركاء : أى فى الكفر وهم الشياطين ، شرعوا لهم : أى زينوا لهم ، ما لم يأذن به
 الله : أى كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا فحسب ، كلمة الفصل : هى القضاء
 والحكم السابق منه بالنظرة إلى يوم القيامة ، الروضة : مستنقع الماء والخضرة ،
 وروضات الجنات : أطيب بقاعها وأزهرها .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه فيما سبق أنه أنزل عليهم الكتاب المشتمل على الدلائل
 الموصلة إلى السعادة ، وأن المتفرقين فى الدين استوجبوا شديد العذاب ، ولكنه أخره
 إلى يوم معلوم — أرشد هنا إلى أن ذلك من لطف الله بعباده ، ولو شاء لجلهم
 فى عماية من أمرهم وتركهم فى ضلالهم يعمهون ، ولو شاء لعجل لهم العذاب . ثم بين

أن من يعمل للأخرة يرجو ثوابها بضعف له فيها الجزاء إلى سبعمائة ضعف ، ومن يعمل
للدنيا وجلب لذاتها يؤثمه ما يريد ، وليس له في الآخرة نصيب من نعيمها ، ثم أعقب
هذا بذكر ما وسوست به الشياطين للشركيين ، وزينت لهم به من الشرك بالله وإنكار
البعث إلى نحو ذلك ، ثم بين أنهم كانوا يستحقون العذاب العاجل على ذلك ، ولكنه
أجله لما سبق في علمه من إنظارهم إلى يوم معلوم ، ثم ذكر مآل كل من الكافرين
والمؤمنين يوم القيامة ، فالأولون خائفون وجلون من جزاء ما عملوا ، والآخرون
مترفون منعمون .

الإيضاح

(الله لطيف بعباده يرزق من يشاء) أى إنه تعالى برّ بعباده يرسل إليهم أعظم
المنافع ويدفع عنهم أكبر البلاء ، فيرزق البر والفاجر لا ينسى أحدا منهم ويوسع
الرزق على من يشاء منهم ويقتره على من يشاء ، ليمتحن الغنى بالفقر والغنى بالفقر ،
وليحتاج بعض إلى بعض كما قال : « لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا » .
ونحو الآية قوله : « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » .
ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك فقال :

(وهو القوى العزيز) أى وهو القادر على ما يشاء ، العزيز الذى لا يقدر أحد
أن يمنعه عن شيء مما يريد .

وبعد أن أبان أن الرزق ليس إلا فى يده أتبعه بما يزيد فى التكاتب على طلب
رزق البدن ويرغب فى الجد فى طلب رزق الروح والسعى فى رفع منزلتها عند ربها
ابرضى عنها فقال :

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) أى من كان يريد بأعماله
وكتسبه ثواب الآخرة نوقه لصالح الأعمال ونجزه بالحسنة عشر أمثالها إلى ما شاء الله .

(ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب) أى ومن كان سعيه موجها إلى شؤون الدنيا وطالب طيباتها واكتساب لذاتها، وليس له هم فى أعمال الآخرة — نؤته منها ما قسمناه له، وليس له فى ثواب الآخرة حظ، فالأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، قال قتادة: إن الله يعطى على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا.

ونحو الآية قوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَطَّلَاهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا».

وقال ابن عباس: من يؤثر دنياه على آخرته لم يجعل الله له نصيبا فى الآخرة إلا النار، ولم يزد بذاك من الدنيا شيئا إلا رزقا فرغ منه وقسم له. وأخرج أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن أبى بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بشر هذه الأمة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين فى الأرض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب».

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى عن أبى هريرة قال: «تلا رسول الله (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ) الآية ثم قال يقول الله: ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلتفتل مملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك». وعن على كرم الله وجهه قال: الحرث حرثان: فحرت الدنيا المال والبنون، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

ولما بين القسطاس الأثوم فى أعمال الآخرة وأعمال الدنيا أوردفه بالتنبيه إلى ما هو الأصل فى باب الضلالة والشقاوة فقال:

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أى هم ما اتبعوا

ما شرع الله من الدين القويم ، بل اتبعوا ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ، فحرموا عليهم ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة ، وحلوا لهم أكل الميتة والدم والقمار إلى نحو أولئك من الضلالات والجهالات التي كانوا قد اخترعوها في الجاهلية :

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت عمرو ابن لُحَيَّ بن قَمْعَةَ يجر قَصَبَه - أمعاه - في النار » لأنه أول من سب السواحب وحمل قريشا على عبادة الأصنام ، وكان أحد ملوك خزاعة .

وقصارى ذلك — إن الشيطان زين لهم الشرك والمعاصي والشرائع المضلة وإنكار البعث والعمل للدنيا .

ثم بين أنه رحمة بعباده أحرَّ عذاب المشركين ليوم معلوم ولم يجعله لهم فقال :
 (ولولا كلمة الفصل لفضى بينهم) أى ولولا القضاء السابق منه تعالى بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لموجلوا بالعذاب كما قال سبحانه : « بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ » .
 (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) أى وإن الظالمين أنفسهم بشرع ما لم يأذن به الله مما ابتدعوه من التحليل والتحریم — لهم عذاب شديد الإيلام في جهنم وبئس المصير .

ثم ذكر أحوال أهل العقاب وأهل الثواب يوم القيامة مبتدئا بالأولين فقال :
 (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم) أى ترى الظالمين خائفين أشد الخوف مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم لاحتمال أشفقوا أو لم يشفقوا .
 وذكر الآخرين بقوله :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) أى والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر به ونهى عنه — لهم في الآخرة روضات الجنات متمتعين بحسانها ولذاتها .

ثم بين ما يكون من النعيم فى تلك الروضات فقال :
 (لهم ما يشاءون عند ربهم) أى لهم ما يشاءون من فنون اللذات من ما كل
 ومشارب ومناظر مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .
 وبعدئذ بين خطر ذلك الفوز الذى ينالونه تفضلا من ربهم ورحمة فقال :
 (ذلك هو الفضل الكبير) أى ذلك الذى أعطاهم ربهم من هذا النعيم وتلك
 الكرامة — هو الفضل الذى من به عليهم ، وهو الذى يفوق كل كرامة فى الدنيا
 من بعض أهلها على بعض .

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، قُلْ
 لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً
 نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى
 عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَنْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ
 الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
 عَنْ عِبَادِهِ وَيَنْفُوعِنِ السَّيِّئَاتِ وَيَهْدِي مَن تَقَمَّلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ
 عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)

شرح المفردات

البشارة : الإخبار بحصول ما يسرّ فى المستقبل ، والقربى : التقرب ، يقترف :
 أى يكتسب ، يختم على قلبك : أى يجعل قلبك من الختموم عليهم حتى تجترى

على الافتراء ، يحجو : أى يزيل ، يحق : أى يثبت ، وكلماته : هى حججه وأدلته ، يستجيب الذين آمنوا : أى يجيب دعاءهم .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر فى الآيات السابقة أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون بالنعيم فى روضات الجنات ، وأنه يعطيهم من فضله ما فيه قرّة أعينهم رحمة من لدنه — ذكر هنا أن ذلك كائن لهم لاحتمال ببشارة منه لهم ، ثم أعقب هذا بأن أمر رسوله أن يقول لهم : إنه لا يسألهم على هذا البلاغ والنصح أجرا ، وإنما يطلب منهم التقرب إلى الله وحسن طاعته ، ثم رد عليهم قولهم : إن القرآن مفتري بأنه لا يفترى الكذب على الله إلا من كان مختوما على قلبه ، ومن سنن الله إبطال الباطل ونصرة الحق ، فلو كان محمد كذابا مفتريا لفضحه وكشف باطله ، ولكن أيدته بالنصرة والقوة ، ثم نديهم إلى التوبة مما نسبوه إلى رسوله من افتراءه للقرآن ، ثم وعد المؤمنين بأنه يجيب دعاءهم إذا هم دعوه ويزيدهم من نعمه ، وأعد الكافرين بشديد العقاب كفاء ما اجترحوا من الشرور والآثام .

الإيضاح

(ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى هذا الذى أخبرتكم بأنى أعدته فى الآخرة من النعيم والكرامة لمن آمن بالله ورسوله وعمل صالح الأعمال — البشرى التى أبشركم بها فى الدنيا ليتبين لكم أنها حق وأنها كائنة لاحتمال .

والخلاصة — إن هؤلاء الجامعين بين الإيمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه — هم المبشرون بتلك البشارة .

وبعد أن ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم من هذه الأحكام التي اشتمل عليها كتابه — أمره أن يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ أجراً فقال :

(قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) أى قل لهم : لا أسألكم على تبليغ ما أبلغكم به من هذا الدين القويم نفعاً منكم فى دنياى ، لكن أسألكم أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح ، قاله الحسن البصرى ؛ ويدخل فى ذلك مودة النبى صلى الله عليه وسلم ومودة قرابته ومودة ذوى القربى من المسلمين ، فإن من تقرب إلى الله أحب رسوله وأكرم قرابة الرسول وأكرم قرابته هو من المسلمين .

وقال ابن عباس : إلا أن تودونى فى نفسى لقرابتي وتحفظوا القرابة التى بينى وبينكم . وعن الشعبي قال : أ أكثر الناس علينا فى هذه الآية « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » فكتبنا إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسط النسب فى قريش ، ليس بطن من بطونهم إلا وله فيه قرابة فقال الله : قل لا أسألكم الآية ، أى أن تودونى لقرابتي منكم وتحفظونى بها .

وروى عن ابن عباس قال : « قالت الأنصار فعلنا وفعلنا وتأنهم نخرؤا ، فقال العباس لنا الفضل عليكم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فى مجالسهم فقال : يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال أفلا تجيبون ؟ قالوا ما نقول يا رسول الله ؟ قال ألا تقولون : ألم يخرجك قومك فأويناك ؟ ألم يكذبوك فصدقناك ؟ ألم يخذلوك فنصرناك ؟ فما زال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا وما فى أيدينا لله ورسوله فنزلت هذه الآية » ، وعلى هذه الرواية فالآية مدنية ، والأصح أنها مكية .

(ومن يقترف حسنة زد له فيها حسنا) أى ومن يعمل عملا فيه طاعة لله ورسوله زد له فيه أجرا وثوابا ، فنجعل له مكان الحسنه عشرة أضعافها إلى سبعائة ضعف إلى ما فوق ذلك فضلا منا ورحمة .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا » .

(إن الله غفور شكور) أى إنه تعالى يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر ، قال قتادة : غفور للذنوب ، شكور للحسنات .

ثم أنكر عليهم نسبة افتراء القرآن إلى الرسول ووجههم على مقالهم فقال :
(أم يقولون افترى على الله كذبا) أى أيقع فى قلوبهم ويجرى على ألسنتهم أن ينسبوا مثله إلى الافتراء على الله وهو أقبح أنواع الفرية وأخشىها ؟

وهذا المقال منهم أفظع من الشرك الذى جعلوه شرعاهم ، فإنهم قد جعلوا الحق الأبلج الذى يعاضده الدليل ويؤيده البرهان — افتراء على الله واختلاقا للكذب عليه — وفى ذلك أتم دلالة على بعده صلى الله عليه وسلم من الافتراء .

وخلاصة ذلك — إنهم قالوا إن هذا الذى يتلوه علينا من القرآن ما هو إلا اختلاق من قبيل نفسه وليس بوحي من عند ربه كما يدعى .

ثم زاد فى استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام والإنكار له على أتم وجه فقال :
(فإن يشأ الله يختم على قلبك) أى فإن يشأ الله خذلك يختم على قلبك لتجتربى بالافتراء عليه ، فإنه لا يفعل مثل هذا إلا من كان فى مثل حالهم قد ختم الله على قلبه وأعمى بصيرته .

والخلاصة — إنه إن يشأ يجعلك منهم ، لأنهم هم المفترون الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله .

وما أجل هذا التعريض بأنهم مفترون ، وأنهم فى نسبة الافتراء إليه مفترون أيضا ، وشبهه بالآية قول أمين نسب إلى الخيانة : لعل الله خذلى ، لعل الله أعمى بصيرتى — لا يريد بمقاله إثبات الخذلان وعمى القلب ، بل يريد استبعاد الخيانة من مثله ، وأن من نسبه إلى ذلك فقد ركب شططا ، وأتى أمرا إدا ، وقال قولاً نُسكرا . ثم أكد استبعاد الافتراء منه وزاده إيضاحا فقال :

(ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) أى كيف يكون منه الافتراء على الله ، وقد جرت سنته تعالى أن يمحو الباطل ويحقه ويثبت الحق وينشره بين الناس ، وها هو ذا يزداد ما أوتيه محمد كل يوم قوة وانتشارا ، فلو كان مفتريا كما تدعون لكشف افتراءه وحقه ، وقذف بالحق على باطله فدمغه .

وقد يكون المعنى — إن هذه عدة من الله لرسوله بالنصر ويكون المراد — يمحو الله باطلهم وما بهتوك به ويثبت الحق الذى أنت عليه بقضائه الذى لا مرد له فيكون هذا كلاما معترضا بين ما قبله وما بعده مؤكدا لما سبق من الكلام من كونهم مبطلين فى نسبة الافتراء إلى من هو أصدق الناس حديثا .

(إنه عليم بذات الصدور) فيعلم ما تكنه الضمائر ، وتنطوى عليه السرائر ، وتجري الأمور على حسب علمه الواسع المحيط بكل شيء .

ثم امتن على عباده بقبول توبتهم إذا هم تابوا ورجعوا إليه فقال : (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما فرط منهم من الذنوب ، واقتربوا من السيئات .

والتوبة الندم على المعصية ، والإقلاع عنها ، والعزم على عدم العودة لها ، وهذه شروط ثلاثة فيما بين العبد وربّه ، فإذا أكملت صحت التوبة ، وإن فقد واحد منها لم تكن توبة صحيحة ، أما فيما يتعلق بحقوق العباد فيزداد على ذلك أن يبرأ من حق صاحبها .

ومن علامات التوبة النصوح — صدق العزيمة على ترك الذنب ، وألا يجد له حلاوة في قلبه عند ذكره .

وقد ورد في الحزب على التوبة كثير من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما ، فمن ذلك :

(١) ما رواه أبو هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم « الله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش » .

(٢) ما رواه جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له على كرم الله وجهه : إن مرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين ، وتوبتك تحتاج إلى التوبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ما التوبة ؟ قال التوبة اسم يقع على ستة معان : على الماضي من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم ، وإذاعة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، وإذابتها في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

(ويعفو عن السيئات) أى يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي .

(ويعلم ما تفعلون) أى ويعلم الذى تفعلونه كأننا ما كان خيرا أو شرا فيجازى بالثواب والعقاب ، أو يتجاوز بالعفو على حسب ما تقتضيه مشيئته البنية على الحكم والمصالح .

وفي هذا حث على لزوم الحذر منه تعالى والإخلاص له وإحاض التوبة .
(ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) أى ويحبب الذين آمنوا إذا دعوه ، ويزيدهم من فضله على ما طالبوه بالدعاء .

وبعد أن ذكر ما أعده للمؤمنين من الثواب أردف بما أعده للكافرين من العذاب فقال :

(والكافرون لهم عذاب شديد) أى والكافرون يوم القيامة لهم عذاب مؤلم موحج ، فالؤمنون قد تقبل دعاءهم وزادهم من فضله ، وهؤلاء لا يستجيب لهم دعاء « وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ »

وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ مُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)

شرح المفردات

البسط : السعة ، والبغى : الظلم ومجاوزة الحد ، بقدر : أى بتقدير ؛ يقال قدره قدراً وقدراً إذا قدره ، والغيث : المطر ، وقنط : نيس ، ورحمته : هى منافع الغيث وآثاره التى تم الحيوان والنبات والسهل والجبل ، والولى : هو الذى يتولى عباده

بالإحسان ، الحميد : أى المستحق للحمد على نعمه ، بث : نشر وفرق ، والداية : كل ما له ديب وحركة ، على جمعهم : أى حين الحشر والحساب ، بمجزيين : أى مجاعلين الله تعالى عاجزا بالهرب منه ، والجوارى : أى السفن الجارية ، والأعلام : واحدها علم وهو الجبل : قالت الخنساء فى رثاء أخيها صخر :

وإن صخرًا لتأتمُّ الهداة به كأنه علم فى رأسه نارٌ

يسكن الريح : أى يجعلها ساكنة لاتتموج ، رواكد : أى ثوابت ، والصبارة : كثير الصبر وهو حبس النفس حين الشدائد عن الجزع وعن التوجه إلى من لا يندفعى التوجه له ، وشكور : أى كثير الشكر للنعم ، يوبقهن : أى يهلكهن ؛ يقال للمجرم أوبقته ذنوبه : أى أهلكته ، محيص : أى مهرب ومخلص .

المعنى الجملى

بعد أن بين سبحانه فيما سلف أنه يجيب دعاء المؤمنين إذا هم أنابوا إليه وأخبتوا - ذكر هنا أنه لا يعطيهم كل ما يطلبون من الأرزاق ، بل ينزلها بقدر على حسب ما يعلم من مصالحتهم ، فإن كثرة الرزق تجعل الناس يتجبرون ويتكبرون ، والله هو الخبير بما يصلح حالهم من فقر وغنى .

قال خباب بن الأرت : فينازلت هذه ، الآية نظرنا إلى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها .

ثم أعقب هذا بأنهم إذا احتاجوا إلى الرزق لا يتممه منهم وهو للتولى أمورهم بإحسانه ، الحمد على ما يوصل للخلاق من صنوف الرحمة ، ثم أقام الأدلة على ألوهيته بخلقه للسموات والأرض وما فيهما من الحيوان ، ثم جمعهم للحساب يوم القيامة ، ثم ذكر أن ما يصيب الإنسان من نكبات الدنيا من الأمراض والأسقام والفقر والغنى فيكسب الإنسان واختياره كما دلت على صدق ذلك التجارب ، ثم أعقب

ذلك بآية أخرى على أوهيته وهى جريان السفن فى البحار ، فتارة يجعل الريح ساكنة فتظل السفن على سطحها ، وأخرى تعصف الرياح فتفرقها أو تنجو على حسب تقديره تعالى .

الإيضاح

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير) أى ولو أعطى عباده من الرزق فوق حاجتهم لملهم ذلك على البغى والظلمان وطلب ما ليس لهم طلبه ، لأن الغنى مَبْطَرَةٌ مَأْشَرَةٌ ، وكفى بحال قارون وفرعون عبرة لمن اعتبر .

ولكن يرزقهم ما فيه صلاحهم وهو أعلم بحالهم ، فيغنى من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلك كما ورد فى الأثر « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيت له لأفسدت عليه دينه » .

والخلاصة — إنه تعالى خبير بما يصلح عباده من توسيع الرزق وتضييقه ، فيقدر لكل منهم ما يصلحه ، فيسقط ويقبض ، ويعطى ويمنع ، ولو أغناهم جميعا لبغوا ، ولو أفقرهم جميعا لهلكوا .

فنظام العالم لا يستقر إلا على هذا الوضع القائم الجامع بين الأمرين ، نخوف الأغنياء يرعهم عن الظلم ، ونخوف الفقراء من الأغنياء يدعوهم إلى التعاون معهم ، ليفوزوا بمبتغاهم ويرعهم عن البغى .

عن أبى هانىء الخولانى قال : سمعت عمرو بن خرَيت وغيره يقولون : « إنما نزلت هذه الآية فى أهل الثَّمَّة ، فإنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا الدنيا » . رواه السيوطى بسند صحيح .

قال قتادة : كان يقال : خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك .
 وبعد أن بين أنه لا يعطى عبادة ما زاد على حاجتهم ، لأنه يعلم أن الزيادة
 تضرهم في دينهم — ذكر أنهم لو احتاجوا إلى الغيث فهو لا يمنعه عنهم فقال :
 (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد)
 أى وهو الذى ينزل المطر من السماء فيفيضهم به من بعد يأسهم من نزوله حين حاجتهم
 إليه ، وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ، وهو الذى يتولى
 عبادة بإحسانه ويحمد على ما يوصله إليهم من رحمته .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : نقط المطر
 وقنط الناس يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : مطر ثم ثم قرأ الآية .
 ثم أقام الأدلة على ألوهيته فقال :

(ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة) أى ومن دلائل
 عظمته وقدرته وسلطانه القاهر — خلق السموات والأرض وما نشر فيهما من دابة
 تدب وتتحرك ، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوان على اختلاف
 أشكالهم وألوانهم .

(وهو على جمعهم إذا شاء قدير) أى وهو يجمعهم يوم القيامة ، فيجمع الأولين
 والآخرين وسائر الخلائق فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر ، ثم يحكم
 بينهم بحكمه العدل وهو اللطيف الخبير .

وقصارى ذلك — إنه قدير على جمع ما بث فيهما من دابة إذا شاء جمعه ،
 كما لم يتمذر عليه خلقه وتفريقه .

ثم ذكر دستوروا للناس فى أعمالهم إذا تأملوه أفلحوا عما يرتكبونه من الآثام فقال :
 (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) أى وما يحل بكم
 أيها الناس من المصائب فى الدنيا ، فإنما تصابون به عقوبة لكم على ما اجترحتم

من الآثام ، واقترفتم من الشرور والمعاصى ، ويفعلوكم عن كثير من جرائمكم فلا يعاقبكم بها .

فإنه سبحانه جعل الذنوب أسبابا لها نتائجها ومسبباتها : فشارب الخمر يصاب بكثير من الأمراض الجسمية والعقلية فى الدنيا وهى أثر من آثار ما اجترح من الذنب . والتاجر غير الأمين أو الكذاب تصاب تجارته بالكساد ويشهر بين الناس بالخيانة فيحجمون عن معاملته . والحكام المرتشون الظلمة الذين يجمعون أموالهم بالسحت يصابون بالفقر والعُدْم ويصبحون مثلا بين الناس ، وإن لم يصبهم الفقر يصب أولادهم فيصبحوا بحال يرثى لها ويصيروا أحاديث الخاصة والعامة . والأم الظالمة التى لاتناصر بين أفرادها ، بل بينها التقاطع ، ويمتاز بعض أفرادها أموال بعض آخر ، تصاب بالمهانة بعد العظمة والذلة بعد العزة ؛ وما الأمثال فى ذلك بعزيرة ، فهامى ذى الأم الشريفة إنما أصابها ما أصابها من الضعف والخمول والاضمحلال ثم الزوال من صفحة الوجود بما اجترحت من ظلم وإفساد فى الأرض ، وأكل بعضها أموال بعض واحتجان عظامها الأموال فى خزائنهم ، وابتزازها من أيدى الضعفاء ؛ وقد اقتص الله لهم منهم فأضاع ملكهم وأذهب ربحهم . وجعلهم لقمة سائغة للمستعمرين الذين تحكروا فيهم وجعلوهم كالعبيد يتصرفون فيهم على حسب أهوائهم وما تمليه عليهم مصالحهم وما يدرّ عليهم الخير لبلادهم وشعوبهم .

وفى هذا عبرة لمن اذّكر وقد تقدم أن قلنا فى غير موضع إن عقاب الأفراد فى الدنيا ليس بالمطرد ، إذ كثيرا ما ترى سكيما عرّيبدا لا يصاب بأذى مما يفعل ، وترى تاجرا يخون الأمانة ولا يصاب بكساد فى تجارته ، وحينئذ يكون عقاب كل منهما مؤجلا ليوم الحساب إن شاء ربك عاقب ، وإن شاء عفا بعد التوبة عما قرط منهما من الذنوب والآثام .

أما عقاب الأم على ما تجترح من السيئات فهو محقق فى الدنيا ولدينا عظة التاريخ فى القديم والحديث ، فإما من أمة تركت أوامر دينها وخالفت نوااميس العمران ،

إلا زالت وصارت كأمس الدابر، وأصبحت عبرة للباقيين، ومثلاً للآخرين، فالرومان والفرس والعرب في الشرق وفي الأندلس والترك — مثل مائة أمامنا نُجَلِّ لنا تلك القضية « فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » .

ونحو الآية قوله تعالى: « وَتَوَّأُوْا أَخَذِ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ » وفي الحديث الصحيح « والذي نفسى بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياها حتى الشوكة يشاكها » .
ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفس محمد بيده ما من حُدْش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب ، وما يغفو الله عنه أكثر » .

وروى الترمذى وجماعة عن على كرم الله وجهه قال : « ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) قال وسأفسرها لك يا على : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فله أكرم من أن يعود بعد عفوهِ » والآثار في هذا الباب كثيرة .

والخلاصة — إنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ، ويعفو عن كثير من الذنوب ؛ وقد ثبت بالأدلة الصحيحة أن جميع ما يصاب به الإنسان في الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه .

(وما أتم بمعجزين في الأرض) أى وإنكم لاتعجزون الله حينما كنتم ، فلا تسبقونه بهربكم منه في الأرض حتى لاتنالكم المصائب ، بل هى لاحقة بكم أينما تكونوا .

والخلاصة — إن ما قضاه الله عليكم واقع بكم لا محالة ولا مفر منه .

و بعد أن نفى المهرب مما قَدَّرَ نفي النصير والمعين الذى يمنع حلول المقدور فقال :
 (وما لكم من دون الله من ولّى ولا نصير) أى وما لكم من دون الله ولّى
 يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم ، ولا لكم نصير ينصركم إذا
 هو عاقبكم ، فينتصر لكم ، فاحذروا معاصيه واتقوا مخالفة أمره ، فإنه لا دافع
 لعقوبته إذا أحلها بعبد من عباده .

ثم ذكر سبحانه آية أخرى من آيات عظمته الدالة على توحيده وصدق
 ما وعده فقال :

(ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام) أى ومن دلائل قدرته وباهر حكته ،
 وعظيم سلطانه — تسخير البحر لتجرى فيه الفلك بأمره كالجبال الشاهقة ،
 والمدن العالية .

(إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) أى إن يشأ الله الذى قد أجرى
 هذه السفن فى البحر ألا تجرى فيه ، أسكن الريح التى تجرى بها ، فثبتت فى موضع
 واحد ووقفت على ظهر الماء لا تتقدم ولا تتأخر .

ثم أتى بجملة معترضة بين ما مضى وما سيأتى فقال :

(إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى إن فى جري هذه الجوارى
 فى البحر بقدرته تعالى — لحجة بينة على قدرته على ما يشاء ، لكل ذى صبر على
 طاعته ، شكور لنعمه وأياديه عنده .

والمؤمن إذا كان فى ضراء كان من الصابرين ، وإذا كان فى سراء كان من
 الشاكرين ، وقال عون بن عبد الله : فكم من منعمٍ عليه غير شاكر ، وكم من مبتلى
 غير صابر ، وقال قُطْرُبُ : نعم العبد الصبار الشكور الذى إذا أعطى شكر ، وإذا
 ابتلى صبر . وقد قيل : الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر .

(أويوبهئن بما كسبوا ويعف عن كثير) أى وإن يشأ يجعل الرياح عواصف
 فيغرق السفن بذنوب رايكيبها ، ولكنه يعفو عن كثير من ذنوبهم ، ولو أخذهم
 بجميع ما يجترحون منها لأهلك كل من ركب البحر .

والخلاصة — إنه لو شاء أسكن الريح فوقفت السفن رواكد على ظهر البحر ، ولو شاء لأرسلها عاتية قوية فأخرتها عن سيرها ، وصرفتها ذات اليمين وذات الشمال أبقة لانسير على طريق ولا تصل إلى مقصد حتى تفرق ، ولكن من رحمته ولطفه يرسلها بقدر الحاجة لينتفع بها الملاحون لقضاء أوطارهم .

(ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أى ويعلم الذين ينازعون في آياتنا على جهة التكذيب لها أنه لا مخلص لهم إذا وقفت السفن أو إذا عصفت الريح ، فيصير ذلك سبباً لاعترافهم بأن النافع الضار ليس إلا الله تعالى .

فَأَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَارًا الْأَيْمِ
وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنزَلُوهُمْ سُورَىٰ مِنْ بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨)
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) .

شرح المفردات

آتاه الشيء : أعطاه إياه ، والمتاع : ما ينتفع ويتمتع به من ريش وأثاث ونحوهما ، يتوكلون : يفوضون إليه أمورهم ، كبار الأيم : كل ما يوجب حداً ، والفواحش : هى ما فحش وعظم قبحه كالزنا والقتل ونحوهما ، واستجابوا : أى أجابوا داعى الله فأدوا فرائضه وتركوا نواهيه ، والشورى والمشاورة : المراجعة فى الآراء ليقين الصواب منها ، والبغى : الظلم ، وينتصرون : أى ينتقمون .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر دلائل توحيدِهِ وعظيم قدرته وسلطانه بخلق السموات والأرض وجرى السفن ماخرات في البحار — أردف ذلك بالتنفير من الدنيا وزخرفها ؛ لأن المانع من النظر في الأدلة إنما هو الرغبة فيها طلباً للرياسة والجاه ، فإذا صغرت الدنيا في عين المرء لم يلتفت إليها ، وانتفع بالأدلة ووجه النظر إلى ملكوت السموات والأرض ، ثم أبان أن ما عند الله خير لمن آمن وتوكل عليه واجتنب كباثر الذنوب والفواحش ، وكان منقاداً له مطيعاً لأوامره تاركاً لنواهيه وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يبرم أمراً إلا بعد مشورة وانتصر لنفسه ممن ظلمه .

الإيضاح

(فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أى وكل ما تعطونه أيها الناس من الغنى والسعة في الرزق والمال والبنين ، فهو متاع قليل تتمتعون به في مدى قصير يذهب وينقضى ، والله در القائل :

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كيت نسجته العنكبوت

وفي هذا تحقير لشأن هذه الحياة وزينتها وما فيها من النعيم الزائل ثم رغبهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال :

(وما عند الله خير وأبقى) أى وما عند الله من الثواب والنعيم خير من زهرة الدنيا ، لأنه باقى سرمدى ، وما فيها زائل فان ، والعقل قاض بترجيح الباقي على الفانى .

ثم بين أنه لا يكون خيراً إلا لمن اتصف بصفات :

(١) (للذين آمنوا) أى للذين صدقوا الله وآمنوا برسوله .

- (٢) (وعلى ربهم يتوكلون) أى وعلى من ربّاهم على إحسانه يعتمدون ويفوضون إليه أمورهم ، ولا يلتفتون إلى غيره فى مهامّ أمورهم . روى أن الآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه حين تصدق بماله فلامه المسلمون وخطأه الكافرون .
- (٣) (والذين يحبّون كباثر الإثم والفواحش) أى والذين يتباعدون عن ارتكاب كباثر الآثام كالقتل والزنا والسرقه ، وعن الفواحش التى ينكرها الشرع والعقل والطبع السليم من قول أو فعل .
- (٤) (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أى وإذا ما غضبوا كظموا غيظهم ، إذ من سجاياهم الصفح والعفو ، وليس من طبائعهم الانتقام ؛ وقد ثبت فى الصحيح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تُنتهك حرمة الله » .
- (٥) (والذين استجابوا لربهم) أى والذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم إليه من توحيدهِ والبراءة من عبادة كل ما يعبد من دونه .
- (٦) (وأقاموا الصلاة) المفروضة فى أوقاتها على أكل وجوهها ، وخص الصلاة من بين أركان الدين ، لما لها من الخطر فى صفاء النفوس ، وتركية القلوب ، وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن .
- (٧) (وأمرهم شورى بينهم) أى وإذا حزبتهم أمرت شوروا فيما بينهم ، ليقتلوه بحثا وتحصييا ، ولا سيما الحروب ونحوها .
- وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فى الكثير من الأمور ، ولم يكن يشاورهم فى الأحكام ، لأنها منزلة من عند الله ، أما الصحابة فكانوا يتشاورون فيها ، ويستنبطونها من الكتاب والسنة . وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها حتى انتهى أمرهم إلى تولية أبى بكر ، وتشاوروا فى قتال من ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستقرّ رأى أبى بكر على القتال ، وقد كان فيه الخيرة للإسلام والمسلمين ، وشاور عمر رضى الله عنه المهرمزان حين وفد عليه مسلما .

ونحو الآية قوله : « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هتدوا لأرشد أمرهم . وقال ابن العربي : الشورى ألفة للجماعة ، وصقال للعقول ، وسبب إلى الصواب ، وما تشاور قوم قط إلا هتدوا . ولأمر ما أصبحت الحكومات فى العصر الحاضر لا تبت فى مهام الأمور إلا إذا عرضت على مجالس الشورى (البرلمان - مجلس الشيوخ والنواب) وكأى بك قد سمعت قول بشار بن بُرْد فى قوائد الشورى :

إذا بلغ رأى المشورة فاستعن برأى لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فريش الخوافى قوة للقوادم

وما خير كف أمك الفلأختها وما خير كف لم تؤيد بقائم

(٨) (ومما رزقناهم ينفقون) أى وينفقون مما آتاهم ربهم فى سبيل الخير، والبذل

فما فيه منفعة للفرد والجمتمع ، ورفعة الأمة وعلو شأنها وعزها .

(٩) (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أى والذين إذا بغي عليهم باع

ينتصرون ممن ظلمهم من غير تمدد عليه .

والمؤمنون فريقان :

(١) فريق يعفوا اتباعا لقوله تعالى : « وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » وقوله :

« خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » وقوله : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَمَا قَبُولُوا بِمِثْلِ مَا عَوْ قَبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ صَبْرَتُمْ لَهْوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ » .

(٢) فريق ينتصرون من ظلمه وهو المذكور فى هذه الآية .

والخلاصة - إن العفوضريان :

(١) ضرب يكون فيه العفوسببا لتسكين الفتنة ، وتهدئة النفوس ، ومنع

استفحال الشر ، وهذا محمود وحث عليه الآيات الكريمة التى ذكرت آنفا .

(٢) ضرب يكون فيه العفوسببا لجرأة الظالم وتماديه فى غيه ، وهذا مذموم

وعليه تحمل الآية التى نحن بصدد تفسيرها .

وعليه تحمل الآية التى نحن بصدد تفسيرها .

فالعفو عن العاجز المعترف بجُرمه محمود ، والانتصار من الخاضع المصّر على جُرمه
والمتمادى في غيّه محمود ، وإلى هذا أشار النبي بقوله :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالمالا مضرّ كوضع السيف في موضع الندى

وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَنَنْعَمَ وَأَصْحَابَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ
سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ
لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) .

شرح المفردات

السيئة : مأخوذة من السوء ، وهو القبيح ، وانتصر : أى سعى في نصر نفسه
بجهد ، من سبيل : أى من عقاب ولا عتاب ، لمن عزم الأمور : أى لمن الأمور
المشكورة والأفعال التي تدب إليها عباده ولم يرخص بالتهاون فيها .

المعنى الجملى

بعد أن مدح فيما سلف الذين ينتصرون لأنفسهم بمن بغى عليهم — أردف
ذلك بما يدل على أن ذلك الانتصار مقيد بالمثل ، لأن النقصان حثيف ، والزيادة
ظلم ، والتساوى هو العدل الذى قامت به السموات والأرض ، ثم تدب إلى العفو

والإغضاء عن الزلات ، ثم ذكر أنه لامواخذة على من ينتصر لنفسه ، وإنما للمواخذة على من يظلم الناس ويبغى فى الأرض بغير الحق ، وأن الصبر وغفران السيئة مما حث عليه الدين وأجزل ثواب فاعله .

الإيضاح

(وجزاء سيئة سيئة مثلها) أى وجزاء سيئة المسىء عقوبته بما شرعه الله من عقوبة مماثلة لجرمه ، وسمى هذا الجزاء سيئة مع أنه عقوبة مشروعة من الله مأذون بها ، لأنها تسوء من تنزل به كما قال تعالى فى آية أخرى « وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ » يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا . وفى الآية حث على العفو ، لأن الانتصار إنما يحمّد إذا حصلت المائلة فى الجزاء وتقديرها عسر شاق ، وربما صار المظلوم حين استيفاء القصاص ظلماً .

ونحو الآية قوله : « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » وقوله : « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوَّيْتُمْ بِهِ » وقوله : « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا بِمِثْلِهَا » .

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بردّ الشتم على الشاتم . أخرج النسائى وابن ماجه وابن مردويه عن عائشة قالت : « دخلت على زينب وعندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت على تسبى فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم تنته ، فقال لى سببها ، فسببتها حتى جفّ ريقها فى فمها ، ووجه رسول الله يتهلل سرورا » . وكان هذا بمنزلة التعزير منه لزينب بلسان عائشة ، لما أن لها حقا فى الرد وقد رأى فيه المصلحة .

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن مردويه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المستبان ما قال من شىء فعلى البادى حتى يعتدى المظلوم ثم قرأ (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) » .

وقصارى ذلك — إن كل جناية على النفس أو المال تقابل بمثلها قصاصاً ، لأن إهدارها يوجب فتح باب الشرور والمفاسد ، إذ في طبع الإنسان الظلم والبغى والعدوان فإذا لم يزدجر عنه تهادى فيه ولم يتركه ، والزيادة على قدر الذنب ظلم ، والشرائع تنتزه عن ذلك ، ومن ثم شرع الله القصاص ونذب إلى الفضل وهو العفو فقال : « **وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ** » وجاءتمة لهذه الآية .
 (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) أى فمن عفا عن المسيء وأصلح ما بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء عما صدر منه ، فأجره على الله ، فيجزيه أعظم الجزاء .
 وفي إبهام الأجر وجمله حقا على العظيم الكريم جل شأنه زيادة فى الترغيب فى العفو والحث عليه .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة أمر الله منادياً ينادى : ألا ليقيم من كان له على الله أجر فلا يقوم إلا من عفا فى الدنيا وذلك قوله : (فَمَنْ عَفَا) الآية** » .

ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محبته التى هى سبب الفوز والنجاة فقال :
 (إنه لا يحب الظالمين) أى إنه تعالى لا يحب المتجاوزين الحد فى الانتقام ، وفى هذا تصريح بما تضمنه سالف الكلام من حسن رعاية طريق المائلة وأنها قلما تخلو من الاعتداء والتجاوز عن الواجب ، ولا سيما حال الحراد والتهاب الحمية ، وحينئذ يدخل المنتقمون فى زمرة من لا يحبهم الله .

(ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أى ومن انتصر من ظلمه بعد ظلمه إياه ، فأولئك المنتصرون لا سبيل للمنتصر منهم بمقوية ولا أذى ، لأنهم انتصروا منهم بحق ، ومن أخذ حقه ممن وجب له عليه ولم يتعد — لم يظلم فلا سبيل لأحد عليه .

ولما نفي السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال :

(إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيعون فى الأرض بغير الحق) أى إنما الحرج والإثم على الذين يبدءون الناس بالظلم أو يزيدون فى الانتقام ويتجاوزون ما حُدَّ لهم ، أو يتكبرون فيها تجبراً وفساداً .

(أولئك لهم عذاب أليم) أى هؤلاء لهم عذاب مؤلم بسبب بغيهم وظلمهم .

ثم رغب سبحانه فى الصبر والعفو فقال :

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) أى ومن صبر عن الانتصار من غير

انتقام ولا شكوى ، وستر السيئة فقد فعل ما يشكر عليه ويستحق به الأجر وجزيل الثواب .

روى «أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر: يا أبا بكر ثلاث كلهن حق : ما من

عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية

يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة . وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة

إلا زاده الله عز وجل بها قلة .»

وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَآلَهُ مِنْ وَلىٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا

العَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ ؟ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ

مُقيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَمَنْ

يُضِلِّ اللهُ فَآلَهُ مِنْ سَبِيلِ (٤٦)

المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن الذين يظلمون الناس ويبنون في الأرض بغير الحق لهم عذاب أليم على ما اجترحوا من البغى والعدوان بغير الحق — أردف ذلك ببيان أن من أضله الله فلا هادى له ، وأن الكافرين حين يرون العذاب يوم القيامة يطلبون الرجوع إلى الدنيا ، وأنهم يعرضون على النار وهم خاشعون أذلاء ينظرون من طرف خفى ، وأن الذين آمنوا يقولون إن الكافرين أفي خسران فقد أضاعوا النفس والأهل ولا يجدون لهم ناصراً يخلصهم مما هم فيه من العذاب .

الإيضاح

(ومن يضل الله فما له من ولى من بعده) أى إنه ما شاء الله كان ولا راد له ، وما لم يشأ لم يكن ، فمن هداه الله فلا مضل له ، ومن يضله فلا هادى له .
والخلاصة — إن من خذله الله لسوء استعداده وتدسيته نفسه باجتراح الآثام والمعاصى ، فليس له من ولى يهديه إلى سبيل الرشاد ، ويوصله إلى طريق الفوز والفلاح .

ونحو الآية قوله : « وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا » .

ثم ذكر تمنى الكافرين الرجوع إلى الدنيا فقال :

(وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ؟) أى وترى

الكافرين بالله حين يعاينون العذاب يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا ويقولون : هل من رجعة لنا إليها ؟

ونحو الآية قوله : « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا

نُكذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . بَلْ هَذَا لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

ثم ذكر حالهم حين يعرضون على النار فقال :

(وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي) أى وتراهم
أيضاً فى ذلك اليوم يعرضون على النار وهم خاشعون أذلاء (لأنهم عرفوا ذنوبهم
وتكشفت لهم عظمة من عصوه) يسارقون النظر إليها خوفاً منها وحذراً من الوقوع
فيها ، كما ينظر من قدم للقتل إلى السيف ، فلا يقدر أن يملأ عينيه منه ، وإنما
ينظر ببعضها .

ولما وصف حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال :

(وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة)
أى ويقول المؤمنون يوم القيامة : إن الغبونين غبنا لاغبين بعدهم — هم الذين خسروا
أنفسهم فأدخلوا فى النار وحرموا نعيم الأبد ، وفرق بينهم وبين أحبائهم وأصحابهم
وذوى قراباتهم .

ثم صدقهم ربهم فيما قالوا فقال :

(ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) أى ألا إن الكافرين لى عذاب سرمدي
لاهرب لهم منه ولا خلاص ، ثم أياهم من الفكاك منه بأى سبيل فقال :
(وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أى ولا يجدون لهم أعواناً
وأنصاراً ينفقونهم مما حل بهم من العذاب ، فأصنامهم التى كانوا يعبدونها لتشفع لهم
لاستطيع أن تتقدم إليهم بشفاعه .

(ومن يضل الله فما له من سبيل) أى ومن يضلله الله لما علم من استعداده للشر
والفساد وارتكاب الشرور والآثام فلا سبيل له إلى الوصول إلى الحق فى الدنيا ولا إلى
الجنة فى الآخرة .

اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَمْ رَدِّ لَهُ مِنْ اللَّهِ
 مَالَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا
 فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا ابْتِغَاءَ عَنِ الْإِنْسَانِ ، وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
 مِنَّا رَحْمَةً فَفَرِحَ بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
 كَفُورٌ (٤٨) اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ
 إِنَّا نَاوِيهِمْ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا نَجْعَلُ
 مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)

شرح المفردات

استجيبوا الربكم : أى أجبوه إذا دعاكم لما فيه نجاتكم ، لامرذله : أى لا يرده
 أحد بعد ما حكم به ، ملجأ : أى ملاذ تلجئون إليه ، نكير : أى إنكار ووجود لما
 اقترفوا ، حفيظا : أى محاسبا لأعمالهم رقبيا عليها ، رحمة : أى نعمة من صحة وغنى ،
 سيئة : أى بلاء من فقر ومرض وخوف ، كفور : نساء للنعمة ذكراً للبلية ، يزوجهم :
 أى يجعلهم جامعين بين البنين والبنات ، عقيم : أى لا يولد له .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر ماسيكون يوم القيامة من الأحوال وعظام الأمور — حذر من
 هذا اليوم فبين أن الكافرين لا يجدون حينئذ ملجأ يقينهم من عذاب الله ، ولا ينكرون
 ما اقترفوه لأنه مكتوب فى صحائف أعمالهم ، ثم أرشد رسوله إلى أنهم إن أعرضوا
 عن دعوتك ، فلا تأبه بهم ولا تهتم بشأنهم ، ثم أعقب هذا بذكر طبيعة الإنسان
 وأنه يفرح حين النعمة ويحسد نعم ربه حين الشدة ، ثم قسم هيبته لعباده فى النسل

أربعة أقسام ، فمنهم من وهب الإناث ، ومنهم من وهب الذكران ، ومنهم من أعطى الصنفين ، ومنهم العقيم الذى لانسل له .

الإيضاح

(استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرله من الله) أى أجبوا داعى الله وهو رسوله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به واتبعوه فيما جاءكم به من عنده من قبل أن يأتى يوم لا يستطيع أحد أن يردّه إذا جاء به الله .

(مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من تكبير) أى ليس لكم حصن تتحصنون فيه ، ولا تستطيعون إنكار ما اجترحتموه من السيئات ، لأنه قد كتب فى صحفكم وتشهد به ألسنتكم وجوارحكم .

ونحو الآية قوله تعالى : « يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْفَرُّ ؟ كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُنْتَقَرُ » .

(فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ) أى فإن أعرض هؤلاء المشركون عما أتيتهم به من الحق ودعوتهم إليه من الرشد ، ولم يستجيبوا لك وأبوا قبوله منك ، فدعهم وشأنهم فإننا لم نرسلك رقيباً عليهم تحفظ أعمالهم وتحصيها ، فما عليك إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم ، فإذا أنت بلغت ما كلفت به .

ونحو الآية قوله : « لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ » وقوله : « لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ » وقوله : « فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ »

و بعدد ذكر طبيعة الإنسان وغريزته فى هذه الحياة فقال :

(وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) أى إننا إذا أذقنا ابن آدم فأعطيناه من لدنا سعة فى الرزق

أوفي الصحة أوفي الأمن سرّاً بما آتيناها ، وإن أصابته فاقة أو مرض بما أسلف من معصية ربه جحد نعمتنا وأيس من الخير ، والإنسان من طبعه الجحد والكفران بالنعم حين الشدة .

والخلاصة — إن الإنسان إن إصابته نعمة أشرو وبطر ، وإن ابتلى بمحنة يئس وقنط .

(لله ملك السموات والأرض) أي إنه خالق السموات والأرض ومالكهما والتصرف فيهما ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع .

(يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيماً) أي يخلق ما يشاء فيرزق من يشاء البنات فحسب ، ويرزق من يشاء البنين فحسب ، ويعطي من يشاء الزوجين الذكر والأنثى ، ويجعل من يشاء لانسل له .

وفي هذا إيماء إلى أن الملك ملكه من غير منازع ولا مشارك يتصرف فيه كيف يشاء ، ويخلق ما يشاء ، فليس لأحد أن يعترض أو يدبر على حسب هواه ، وتصرفه لا يكون إلا على أكل وجه وأنتم نظام ، وقد قيل : ليس في الإمكان أبدع مما كان .

(إنه عليم قدير) أي إنه عليم بمن يستحق كل نوع من هذه الأنواع ، قدير على ما يريد أن يخلق ، فيفعل ما يفعله بحكمة وعلم .

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ
جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ،
الْأَلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه تقسيم الدم الجثمانية التي يهبها لعباده - أردفها بتقسيم
النعمة الروحية ، وأبان أن الناس محجوبون عن ربهم ، لأنهم في عالم المادة وهو منزه
عنها ، ولكن من رقب حجابها وخاصت نفسه وأصبح في مقدوره أن يتصل بالملأ
الأعلى يستطيع أن يكلم ربه على أحد أوجه ثلاثة :

(١) أن يحس بعمان تلقى في قلبه أو يرى رؤيا منامية كرويا للخليل إبراهيم
عليه السلام ذبح ولده .

(٢) أن يسمع كلاما من وراء حجاب كما سمع موسى عليه السلام من غير أن
يبصر من يكلمه ، فهو قد سمع كلاما ولم ير المتكلم .

(٣) أن يرسل إليه ملكا فيوحى ذلك الملك ما يشاء إلى النبي صلى الله
عليه وسلم .

ثم ذكر أنه كما أوحى إلى الأنبياء قبله أوحى إليه القرآن وما كان قبله يعلم
ما القرآن وما الشرائع التي بها هداية البشر وصلاحهم في الدارين .

الإيضاح

(وما كان لبشر أن يكلمه الله) أى وما يتبعنى للبشر من بنى آدم أن يكلمه ربه إلا بأحدى طرق ثلاث :

(١) (إلا وحيا) أى إلا أن يوحى إليه وحيا أى يكلمه كلاما خفيا بغير واسطة بأن يقذف فى روع النبي شيئا لا يتارى فيه أنه من الله عز وجل كما روى ابن حبان فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن روح القدس نفث فى روعى : إن نفسا ابن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

(٢) (أو من وراء حجاب) أى أو إلا من طريق لا يرى السامع المتكلم مع سماعه للكلام جبهة كما كلم موسى عليه السلام ربه .

(٣) (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) أى أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبريل أو غيره فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه ما يشاء ربه أن يوحى إليه من أمر أو نهى كما كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الأنبياء .

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها أن الحرث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله كيف يأتيك الوحي : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول » . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد (يسيل) عرقا .

(إنه على حكيم) أى إنه على عن صفات المخلوقين يفعل ما تقتضيه حكمته ، فيكلمه تارة بواسطة ، وتارة بغير واسطة إما إلهاما وإما خطابا من وراء حجاب .

وبعد أن بين أقسام الوحي ذكر أنه أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم
كما أوحى إلى الأنبياء قبله فقال :

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) أى وكما أوحينا إلى سائر رسلنا أوحينا
إليك هذا القرآن رحمة من عندنا .

ثم بين حال نبيه قبل نزول الوحي بقوله :

(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) أى ما كنت قبل الأربعين وأنت
بين ظهرائى قومك تعرف ما القرآن ولا تفاصيل الشرائع ومعالمها على النهج الذى
أوحينا به إليك .

(ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) أى ولكن جعلنا هذا
القرآن نورا عظيما نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا ، وبرزده إلى الدين الحق .
ونحو الآية قوله : « قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى » الآية .

(وإناك تهدي إلى صراط مستقيم) أى وإناك تهدي بذلك النور من نشاء
هدايته إلى الحق القويم .

ثم فسر هذا الصراط بقوله :

(صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) أى هذا الطريق هو
الطريق الذى شرعه الله مالك السموات والأرض والمتصرف فيهما ، والحاكم الذى
لامعقب لحكمه .

(ألا إلى الله تصير الأمور) أى إن أمور الخلائق يوم القيامة تصير إلى الله

لا إلى غيره ، فيضع كلا منهم فى موضعه الذى يستحقه من نعم أو جحيم
وفى هذا وعد المهتدين إلى الصراط المستقيم ، ووعيد الظالمين .

خلاصة ماتضمنته السورة الكريمة من الموضوعات

- (١) إنزال الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم .
- (٢) اختلاف الأديان ضرورى للبشر .
- (٣) أصول الشرائع واحدة لدى جميع الرسل .
- (٤) اختلاف المختلفين فى الأديان بغى وعدوان منهم .
- (٥) إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قامت الأدلة على صدقه .
- (٦) استعجال المشركين لحجىء الساعة وإشفاق المؤمنين منها .
- (٧) من يعمل للدنيا يؤت منها وماله حظ فى الآخرة ، ومن يعمل للآخرة يوفقه الله للخير .
- (٨) ينزل الله الرزق بقدر على حسب ما يرى من المصلحة .
- (٩) من الأدلة على وجود الخالق خلق السموات والأرض وجرى السفن فى البحار .
- (١٠) متاع الآخرة خير وأبقى من متاع الدنيا .
- (١١) جزاء السيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله .
- (١٢) يتعمى المشركون يوم القيامة العود إلى الدنيا حين يرون العذاب .
- (١٣) إذا عرض المشركون على النار نظروا إليها من طرف خفى وهم خاشعون أدلاء .
- (١٤) ليس على الرسول إلا البلاغ .
- (١٥) يهب الله لمن يشاء الإناث ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما .
- (١٦) أقسام الوحي إلى البشر .
- (١٧) الرسول قبل الوحي ما كان يدرى شيئا من الشرائع .